منزلة الشعر من التاريخ

﴿١٩﴾ الصداق

اما الصداق عندهم فكان الرجل يسوقهُ الى المرأة وهو في الغالب من النياق . وقد ذكر عنترة العبسي ما كان من امرهِ في طلب الصداق قال —

ترى علتْ عيلة ما ألاقي من الاهوال في ارض العراقِ
طغاني بالربا والمكر عمي وجار عليَّ في طلب الصداقِ
نخضتُ بهجتي بحر المنايا وسرتُ الى العراق بلا رفاقِ
وسقتُ النوق والرعيان وحدي وعدت اجدُّ من نار اشتياقي

ولم يكن الصداق محدوداً فكان حسب تراضي الفريقين . ولذلك نجد جريرًا يعين مهر بنات قومهِ سبعين ناقة يدليل ما قالهُ في احدى قصائدهِ رادًّا على الفرزدق

سبعون والوصفاء مهر بناتنا اذ مهر جعثنَ مثل حبِّ البندقِ (١)

وكثيرًا ما تكون قلة المهر دليل ذلَّة المهورة قال جرير

لقد جُرِّدت يوم الحداب نساؤكم فساءت بجاليها وقلَّت مهورُها

﴿٢٠﴾ استخدام الاماء والعبيد

لاخلاف في ان العرب كان عندهم الاماء والعبيد والخدام قال عروة بن الورد " واني عبدٌ عندهم وابي عبدُ " وقال سبرة بن عمر الفقعسي

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها تظنُّ اماء والاماء حرائرُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل

فلعلي ان يكثر المال عندي ويعرَّى من المغارم ظهري (٢)
وتُرَى اعبدٌ لنا واواقٍ ومناصيف من خوادم عشرِ (٣)

وقال عمر بن كلثوم التغلبي

بأي مشيئة عمرو ابن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

---

(١) الوصفاء جمع وصيف وهو الغلام المملوك . وجعثن اسم اخت الفرزدق
(٢) المغرم ما يندب الانسان في مالهِ من ضرر لغير جناية كتحمل الدبات والاطعام في النائبات
(٣) المناصيف جمع منصفة وهي الخادمة

تهدّدنا وتوعدنا رويدًا متى كنّا لأمك مقتوينا (٤)

وقال عدي بن زيد

متكئًا تُصفّقُ ابوابُهُ يسعى عليهِ العبد بالكؤبِ (٥)

﴿ ٢١ ﴾ الصبوح والغبوق

وكانوا يشربون اللبن ويعاقرون المدام اما صباحًا ويدعونهُ صبوحًا قال عمرو بن كلثوم

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا (٦)

واما مساء ويدعونهُ غبوقًا قال عنترة العبسي

كذب العتيق وماء شنّ باردًا ان كنت سائلة غبوقًا فاذهبي (٧)

وقال المخبل السعدي

واهلكني شيبانُ في كل شتوة لقلبيَ من خوف الفراق وجيبُ (٨)

اشيبان ما ادراك ان رب ليلة غبقتُك فيها والغبوق حبيبُ

وكان الغلمان يطوفون بكؤوس المدام قال حسان بن ثابت

يسعى بها احمر ذو برنس محلق الذفرى شديد الحزامّ

وكذلك كانت القيان يتعاطين سقي الشراب قال عدي بن زيد

ودعوا بالصبوح يومًا فجاءت قينة في يمينها إبريقُ

﴿ ٢٢ ﴾ الغناء

وكان للغناء عندهم شأن وكانت القيان ذات براعة به قال طرفة عمرو بن العبد

تداماي بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين برد ومجسدِ (٩)

اذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا على رسلها مطروقة لم تشدّدِ (١٠)

وكنّ يستعملن آلات فمن ذلك "المزهر" قال احيحة بن الجلاح الأوسي

---

(٤) المتنبي الخادم والزوزني في شرح المعلقات يقول القتو خدمة الملك

(٥) صفق الباب أغلق ورد او فتح · الكوب كوز مستدير الراس لا عروة له ولا خرطوم

(٦) الصحن القدح العظيم (٧) كذب وجب · ومعنى البيت عليك باكل العتيق وهو التمر اليابس وشرب الماء البارد ولا تتعرضي لغبوق اللبن وهو شربة عشيًا

(٨) شيبان بفتح الشين وكسرها · قال الجوهري شيبان وشيبان وشيبان شهرا قاح وهما اشد الشتاء بردًا · يا بذلك بما عليها من الثلج والصقيع وهما الكانونان · والوجيب الخفقان

(٩) تداماي جمع تدمان وهو الندم · والقينة الامة المغنية · والمجسد الثوب المصبوغ بالجسد وهو الزعفران

(١٠) على رسلها اي على وقارها · والمطروقة التي بها ضعف

لتبكني قينة ومزهرها ولتبكني قهوة وشاربها

" والصنج " قال الاعشى ميمون

ومستجيباً تخال الصنج يسمعهُ اذا تَرَجَّعَ فيهِ القينة الفُضُلُ (١)

" والقصاب " قال رؤبة " في جوفهِ وحي كوحي القصّاب (٢) " وقال الاعشى

وشاهدنا الجل والياسمي ن والسمعات بقُصّابها (٣)

" والعود " قال ابن مقبل

فظل تنازعها المحابضُ رَجْنها حذّاء لا قطع ولا مصحال (٤)

وقال النمر بن تولب

قامت تباكى اذ سبأت لقتية زقاً وخابية بعود مقطع (٥)

وكان العزيز المجول اذا قدم من سفر خرجت الاماء لاستقباله ينشدن الاهازيج المطربة. ولما دخل النبي مكة يوم الفتح استقبلتهُ اماء مكة يصفقن ويقلن

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع (٦) وجب الشكر علينا مادعا لله داع

وكان الرجال ايضاً يشتركون بكل ذلك وكانوا يسمون الضرب بالدف والغناء قلساً وتقليساً وقيل ان التقليس هو استقبال الولاة عند قدومهم باصناف اللهو قال الكميت يصف ثوراً طعن في الكلاب فتبعهُ الذباب لما في قرنهِ من الدم

ثم استمرّ تفنيهِ الذباب كما غنّى المقاس بطريقاً بمزمارِ

وكانوا في الاسفار يتخذون الحداء باعث تنشيط ابلهم وتجديد قواهم ويتداولونهُ الواحد بعد الآخر ولطالما اتخذوا الحداء وسيلة للتعريض باشياء قال الحطيئة

فلم اشتم لكم حسباً ولكن حدوت بحيث يسمعُ الحداء

وكثيراً ماجرّ ذلك التعريض سفك الدماء كما كان من حداء زيادة بن زيد بن مالك وهدية بن خشرم وحديثهُ طويل اثبتهُ الاصبهاني في الاغاني

﴿ ٣٣ ﴾ مزج المدام

اختلفوا في المدام هل الاولى شربها صرفاً او ممزوجة قال حسان بن ثابت في الصرف

---

(١) امراة فضل اذا كانت منفضلة في ثوب واحد (٢) القصاب المزمار

(٣) الجلّ الورد فارسي معرب . والقصاب جمع قاصب وهو الزامر (٤) اي منقطع عن الضراب

(٥) المحابض اوتار العود . ورجعها جوابها والمراد بالجواب هنا صوتها . حذاء قصيرة . والقطع المقطوعة والمصحال ذات البحة (٦) الوداع وادٍ بمكة وثنيات الوداع منسوبة اليهِ

ان التي ناولتني فردتها قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتها لم تُقتَلِ
كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصلِ

وعابت اخت جذيمة الابرش ما كان من تعاطي اخيها الصرف اذ قالت لهُ

ذاك من شربك المدامة صرفًا وتماديك في الصبي والمجونِ

وقد امتدح حسان المزوجة بقولهِ

كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

قال الشيخ عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الادب " انما اشترط ان يمزجها لانها خمر شامية صليبة فان لم تمزج قتلت شاربها . وخصَّ العسل والماء لان العسل احلى ما يخالطها وانهُ يذهب بحرارتها واما الماء فيبرّدها ويليّنها "

وقيل ان الخمرة الممزوجة كانت شراب الملوك ولذلك عابت اخت جذيمة اخاها لعدولهِ عن عادة امثالهِ بشربهِ لها صرفًا . والى هذا يذهب من يقول ان رأسًا في قول حسان " كأن سبيئة في بيت رأس " بمعنى رئيس لا انهُ اراد بيت رأس اسم القرية التي في ناحية الاردن من الشام وكانت هذه القرية مشهورة بجودة الخمر وفيها ماتت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك واليها اشار النابغة الذبياني في قولهِ

تمين قلالهُ من بيت راس الى لقمان في سوق مقامِ

وقد علّلوا مزج الخمرة بكراهية اخراجها لهم عن عقولهم في معاطاتها صرفًا قالوا والى ذلك أشار عدي بن زيد بقولهِ

ربَّ ركب قد اناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلالِ

فانهُ يكني بركب يشربون الخمر بالماء الزلال عن الملوك الذين كانوا في عصرهِ . ولعدي ايضًا من قصيدة اخرى قولهُ

فدعا بالصبوح يومًا فجاءت قينة سيفُ بينها ابريقُ
قدَّمتهُ على عُقارٍ كعين الـ ـديك صفَّى سلافها الراووقُ (٧)
ثم كان المزاج ماء غمام غير ما آجنٍ ولا مطروقُ

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي يصف شربهُ

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كأن الحُصَّ فيها اذا ما الماء مازجها سخينا (٨)

(٧) العقار الخمر . والراووق المصفاة (٨) مشعشعة اي ممزوجة بالماء . والحص الزعفران .

﴿ ٣٤ ﴾ فضح الخيل بالخمر

وكان الغزاة اذا اقبلوا منتصرين خرجت النساء للقائهن وبايديهن زجاجات الخمر فيضحكن جيادهم بها قال حسان بن ثابت

تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء

﴿ ٣٥ ﴾ الرايات

وكان لكل قبيلة راية يرفعونها ويدعونها ايضاً عَلَماً ولواء قال ابو زيد الطائي

ولنا فوق كل مجد لواء فاضل في التمام كل لواء

وقال عنترة بن شداد العبسي

ولقد عدوت امام راية غالب يوم الهياج وما عدوت باعزلِ

وكان اللواء لا يدفع الاَّ الى سنديد مقذَّف قال النابغة الذبياني

لهم لواء بكفَّي ماجد بطل لا يقطع الخرق الاَّ طرفهُ سامي

وكانت الويتهم ذات رسوم قال النابغة الذبياني

فوارس من مثيلة غير ميل ومرة فوق جمعهم العقابُ

يريد بالعقاب راية عليها رسم العقاب . وكان بعضهم يغزون متساندين اي من اقوام متعددة وحينئذٍ يسمون اشائب ولم يكن ذلك بالممدوح قال النابغة الذبياني

وثقت لهم بالنصر اذ قيل قد غزت كتائب من غسان غير اشائبِ

ولكنهم كانوا لا يرون في ذلك عيباً اذا كان عددهم عظيماً كما قالت ليلى بنت لكيز التغلبي في تحريض قبائل عديدة مستصرخة اياهم لينقذوها من يد الاعجام

قل لعدنان فديتم شمروا لبني الاعجام تشمير الوحى

واعقدوا الرايات في اقطارها واشهروا البيض وسيروا في الضحى

يا بني تغلب سيروا وانصروا وذروا الغفلة عنكم والكرى

وكانوا فضلاً عن تميزهم بالرايات يتخذ كل قوم منهم (شعاراً) اعني نداء خاصاً قال النابغة

مستشعرين قد الفوا في ديارهم دعاء سوع ودعميٍّ وايوبِ

امين ظاهر خير الله

تحيا اي جدنا وكان من عادة العرب اذا انتشوا ان يجودوا قال عنترة

واذا سكرتُ فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلمِ

واذا صحوت فلا اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي